الفصل الأربعون

لو وأما ولولا

معنى (لو) وما تختص به :

تقدم في فصل الاشتغال أن (لو) يقع بها الشيء لوقوع غيره ، ولا يليها إلا الفعل، وإذا وليها الاسم عمل فيه فعل مضمر [١] .

وتقدم حديث الزجاج عن ذلك في الفصل السابق في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ...﴾ [٢] .

كما تحدث عن حقيقتها ، واختصاصها بالأفعال ، ودخولها على (أن) وصلتها في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [٣] ، وفي ذلك يقول : " (لو) يمتنع بها الشيء لامتناع غيره ، تقول : لو جاءني زيد لجئته ، المعنى : إن مجيئي امتنع لامتناع مجيء زيد ، فحقها أن يليها الأفعال إلا أن (أنّ) المشددة تقع بعدها ؛ لأن (أن) في اللغة تنوب عن الاسم والخبر ، تقول : ظننت أنك عالم ، وهي كقولك : ظننتك عالما ، والمعنى : ظننت علمك ، فالمعنى في (أن) بعد (لو) أنها نابت عن الفعل والاسم كما نابت عن الاسم والخبر ، فالمعنى في قوله : (ولو أنا كتبنا عليهم) كالمعنى في : لو كتبنا عليهم ، وجائز أن يكون مضمرا الفعل مع (أن) مع وقوع [لو قبلها] [٤]، المعنى : ولو وقع وكتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ..."[٥].

قلت : وظاهر كلامه أن (لو) تفيد امتناع الشرط والجواب جميعا ، وهذا أحد أقوال ثلاثة للنحويين [٦] ، وثانيها : أنها لا تفيد الامتناع بوجه ، وهو قول الشلوبين وابن هشام الخضراوي، وثالثها : أنها تقتضي امتناع شرطها دائما ولا تقتضي امتناع جوابها ،

---

(١) انظر ص (٢) انظر ص (٣) النساء /٦٦ .

(٤) في المعاني (قابلها) ، ولا معنى له . (٥) معانيه ٢/٧١ . (٦) انظر التصريح ٢/٢٥٧ .

ثم إن لم يكن لجوابها سبب غير ذلك الشرط لزم امتناعه وإلا لم يلزم ، والذي سار عليه الزجاج هو الصواب بالنظر لأصل (لو)، وهو بمعنى قول سيبويه [1] : " حرف لما كان سيقع لوقوع غيره " ، ومعناه كما حققه الدماميني أن (لو) تدل مطابقة على أن وقوع الثاني كان يحصل على تقدير وقوع الأول ، وتدل التزاما على امتناع وقوع الثاني لامتناع وقوع الأول ؛ لأن عدم اللازم يوجب عدم الملزوم [2] ، وهذا المعنى المطابقي نص عليه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ ، وتقدم ذكره في فصل الاشتغال [3] .

اختصاص (لو) بالأفعال :

تقدم في توجيه الآية المذكورة هنا أن (لو) حقها أن يليها الأفعال ، وقد صرح بذلك الزجاج أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ [4] ، وفيه يقول : " ويقرأ (والبحر) بالرفع ، فأما النصب فعطف على (ما) والمعنى : ولو أن ما في الأرض ، ولو أن البحر ، والرفع حسن على وجهين : أحدهما على معنى : والبحر هذه حاله ، ويجوز أن يكون معطوفا على موضع (أن) مع ما بعدها ؛ لأن معنى (لو أنما في الأرض ...) : لو وقع ما في الأرض ؛ لأن (لو) تطلب الأفعال ، فإذا جاءت (أن) لم تذكر معها الأفعال ؛ لأنها تذكر معها الأسماء والأفعال " [5] .

دخول (لو) على (أن) وصلتها :

تقدم هنا أنه يسوغ وقوع (أنّ) المشددة بعد (لو) لكون (أن) في المعنى نائبة عن الفعل والاسم ، ومن أمثلة هذا الموضع أيضا :

ـ قال في قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ [6] : " موضع (أن) رفع ، المعنى : لو وقع لنا كرور لتبرأنا منهم " [7] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ [8] : " (أن) في موضع رفع، المعنى : لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم أنفسهم مع استغفارهم لوجدوا الله توابا رحيما " [9] .

---

(١) الكتاب ٢٢٤/٤ .
(٢) انظر حاشية الصبان ٣٧/٤ .
(٣) انظر ص
(٤) لقمان /٢٧ .
(٥) معانيه ١٩٩/٤ ، ٢٠٠ .
(٦) البقرة /١٦٧ .
(٧) معانيه ٢٤٠/١ .
(٨) النساء /٦٤ .
(٩) معانيه ٧٠/٢ .

وظاهر كلامه أنه يقدر فعلا تكون (أن) ومدخولها في تأويل مصدر فاعل له ، وهذا المذهب منقول عن الكوفيين ، ونسبه ابن هشام [1] إليهم وإلى المبرد والزجاج والزمخشري ، وقال في المغني [2] : ورجح بأن فيه بقاء (لو) على الاختصاص بالفعل، ويقابل هذا المذهب القول بأن (أنّ) في موضع رفع بالابتداء ، وهو مذهب سيبويه وجمهور البصريين .

جواب (لو) :

يقول الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ [3] : " (مثوبة) في موضع جواب (لو)؛ لأنها تنبئ عن قولك : لأثيبوا " [4]، وظاهره أن (لو) قد تجاب بجملة اسمية مقرونة باللام ، وقد استشهد ابن هشام [5] وغيره بالآية على ذلك، وذكر في جملة (لمثوبة ...) قولين آخرين : الأول أنها مستأنفة ، والثاني أنها جواب لقسم مقدر ، و(لو) في هذين الوجهين للتمني ، فلا جواب لها .

حذف جواب لو :

من مواضع حذف جواب (لو) عند الزجاج :

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [6] ، وفيه يقول : " ... يجوز أن تكون (أن) ـ يعنيَ في (أن القوة) ـ مكسورة مستأنفة فيكون جواب (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ...) لرأوا أمرا عظيما لا تبلغ صفته ؛ لأن جواب (لو) إنما يترك لعظم الموصوف ، نحو قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ...﴾ [7] ، المعنى : لكان هذا القرآن أبلغ من كل وصف ، وتكون (إن القوة لله جميعا) على الاستئناف ، يخبر بقوله : (إن القوة لله جميعا) ويكون الجواب المتروك غير معلق بـ(إن) ، ومن قرأ : (ولو ترى الذين ظلموا) فإن التاء خطاب للنبي يراد به الناس ، كما قال : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [8] ، فهو بمنزلة (ألم تعلموا) ، وكذلك (ولو ترى الذين ظلموا) بمنزلة (ولو ترون) ، وتكون (إن القوة لله جميعا) مستأنفة كما وصفنا ، ويكون الجواب ـ والله

(١) أوضح المسالك ٣/٢٠٥. (٢) المغني ١/٢٧٠. (٣) البقرة /١٠٣ . (٤) معانيه ١/١٨٧ .
(٥) انظر أوضح المسالك ٣/٢٠٦ ، و همع الهوامع ٢/٦٦ . (٦) البقرة /١٦٥ . (٧) الرعد /٣١ .
(٨) البقرة /١٠٧ .

أعلم ـ لرأيتم أمرا عظيما ، كما تقول : لو رأيت فلانا والسياط تأخذه ، فيستغنى عن الجواب ؛ لأن المعنى معلوم ... " [1] .

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾[2]، وفيه يقول:" جواب (لو) محذوف ، المعنى : ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت لرأيت عذابا عظيما " [3] .

ـ توجيه قوله تعال : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ [4] ، وفيه يقول : " جواب (لو) محذوف ، المعنى : لعلموا صدق الوعيد " [5] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [6] : " جواب (لو) محذوف والله أعلم، المعنى: لو كانوا يهتدون لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب "[7].

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ [8] : " هذا متروك الجواب ، وخطاب النبي عليه السلام خطاب الخلق ، والدليل على ذلك قوله جل وعز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [9] ، فهو بمنزلة (ولو ترون) ، والجواب : لرأيتم ما يعتبر به غاية الاعتبار " [10] .

(أما) : (معناها ، وقوع الفاء في جوابها ، حذف جوابها)

تحدث الزجاج عن معناها ، وعن وقوع الفاء في جوابها في توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [11] فقال : " والفاء دخلت في جواب (أما) في قوله : (فيعلمون) ؛ لأن (أما) تأتي بمعنى الشرط والجزاء ، كأنه إذا قال : أما زيد فقد آمن ، وأما عمرو فقد كفر ، فالمعنى : مهما يكن من شيء فقد آمن زيد ، ومهما يكن من شيء فقد كفر عمرو " [12] .

وتحدث عن حذف جوابها في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ﴾ [13] حيث يقول :

(١) معانيه ٢٣٨/١ . (٢) الأنعام /٩٣ . (٣) معانيه ٢٧٢/٢ . (٤) الأنبياء /٣٩ .
(٥) معانيه ٣٩٢/٣ ، ٣٩٣ . (٦) القصص /٦٤ . (٧) معانيه ١٥١/٤ . (٨) السجدة /١٢ .
(٩) الطلاق /١ . (١٠) معانيه ٢٠٦/٤ . (١١) البقرة /٢٦ . (١٢) معانيه١٠٥/١.
(١٣) آل عمران /١٠٦ .

" وجواب (أما) محذوف مع القول ، المعنى : فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم ، وحذف القول لأن في الكلام دليلا عليه ، وهذا كثير في القرآن ، كقوله عز وجل : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (١) ، المعنى : يقولون : سلام عليكم ، وكذلك قوله : ﴿... وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ (٢) ، المعنى : يقولان : ربنا تقبل منا " (٣) .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ (٤) ، وفيه يقول : " جواب (أما) محذوف ؛ لأن في الكلام دليلا عليه ، المعنى : وأما الذين كفروا فيقال لهم : الم تكن آياتي تتلى عليكم ، ودلت الفاء في قوله : (أفلم) على الفاء المحذوفة في قولك : فيقال لهم " (٥) .

(لولا) وقسماها :

وهي نوعان : إما دالة على التحضيض تختص بالجملة الفعلية ، وإما دالة على امتناع جوابها لوجود تاليها وتختص بالجملة الاسمية .

والزجاج يفسر القسم الأول بـ(هلا) ، ومن أمثلة ذلك :

ـ قال في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ (٦) : " (لولا) في معنى (هلاّ) ، المعنى : هلا يكلمنا الله أو تأتينا آية " (٧) .

ـ وقال في قوله تعالى:﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(٨):" المعنى: هلا أخرتنا..."(٩).

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ (١٠) : " المعنى : فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا " (١١) .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ﴾ (١٢) : " ومعنى (لولا) هلا ، وتأويل الكلام التوبيخ " (١٣) .

---

(١) الرعد /٢٣ ، ٢٤ . (٢) البقرة /١٢٨ . (٣) معانيه ١/٤٥٤ ، ٤٥٥ . (٤) الجاثية /٣١ .
(٥) معانيه ٤/٤٣٥ . (٦) البقرة /١١٨ . (٧) معانيه ١/١٩٩ . (٨) النساء /٧٧ .
(٩) معانيه ٢/٧٩ . (١٠) الأنعام /٤٣ . (١١) معانيه ٢/٢٤٨ . (١٢) الكهف /٣٩ .
(١٣) معانيه ٣/٢٨٨ .

وقد تحدث الزجاج عن القسم الثاني من (لولا) من جهة جوابه ذكرا وحذفا ، فقال في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [1] : " المعنى : لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به ، وليس في الكلام نكير أن تقول : ضربتك لولا زيد ، ولا : هممت بك لولا زيد ، إنما الكلام : لولا زيد لهممت بك ، و(لولا) تجاب باللام ، فلو كان : (ولقد همت به ولهم بها لولا أن رأى برهان ربه) لكان يجوز على بعد " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [3] : " ههنا جواب (لولا) متروك ، والمعنى ـ وَالله أعلم ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لنال الكاذب منكم لما ذكر عذاب عظيم ، ويدل عليه : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [4] " [5] .

(١) يوسف /٢٤ . (٢) معانيه ٣/١٠١ . (٣) النور /١٠ .
(٤) النور /١٤ . (٥) معانيه ٤/٣٣ .